كنوز قارون

رواية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

مؤسسة الرسالة بيروت . شارع سوريا - بناية محمدي وصالحة
هاتف ٢١٩٠٢١ - ٢١١١٩٢ - ص.ب ٧٤٦٠ برقياً: مبوشران

فوزي صالح

كنوز قارون

رواية

مؤسسة الرسالة

أما قبل . . .

الأدب الإسلامي تتسع رقعته الآن، هذه حقيقة لا مراء فيها، لكنه يواجه إما بالصمت أو المحاربة قولاً وفعلاً من المتسكعين على أرصفة الفتات الغربي ثمة مخاوف تجتاحهم من هذا القادم القديم الجديد لأنهم بالضرورة سينكشفون تحت اضاءات مصابيحه القوية المستمدة من نور الله، وستتكشف قلوبهم المريضة المتعلقة بأوهن الخيوط.

ما يكتبونه انفلات الطبيعة البشرية السوية، والانفلات عن الطبيعة مرض في عرف النفسانيين.

منزرعون هم حتى النخاع في ذلك الوهم المرضي فيرحون بتمردهم عمى وجنوناً!! ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيَّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون﴾ (سورة النمل ٤) والمؤلم أنهم يجدون آذاناً صاغية لدى نفر كُثْرٍ أهدروا دينهم بدنياهم فانطبق عليهم قول الشاعر:

أعمى يقود بصيراً لا أباً لكمُو . .
قد ضلَّ من كانت العميانُ تهديه

وأزعم أن ما كتبته هنا أدباً إسلامياً ذا توجه مغاير للمطروح ولكنه ينضوي تحت المفهوم العام للمصطلح إذ إنه يصور النفس في صعودها وهبوطها . . . في ضعفها وقوتها، ويعري ما أفرزه الآني من سموم واحباطات وجرائم بشعة ترتكب في حق الشعوب والأفراد، وتلك اللامبالاة المتفشية في السلوك اليومي هي نتيجة طبيعية لذلك الإفراز . . . حكاياتي واقعية أو قريبة منها، إذ من الممكن حدوثها لأنها تستمد خيوطها من أناس حقيقيين . . . لصوص وضالين ومضلِّين وحواة ولا مبالين، وقد اخترت نماذجي من بين هؤلاء بغرض تعريتهم وكشف دورهم السلبي الهدَّام في المجتمع، يقول حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل:

كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.

وأزعم كذلك أن هذا الكشف علاج نفسي سوف يأتي بثمار طيبة مباركة بإذن الله، وليس معنى ذلك أن كل نماذجي شريرة ولكن بجانبها صوت الضمير/ أو/ الجانب الخير ينبعث من بين السطور، وقد يأتي على لسان الراوي.

نواجه نحن تحديات مهلكة إن لم نع، لكننا مع الارادة والاستمساك بسلوكيات ومفاهيم ديننا الحنيف سننتصر لا محالة . . . هم يعرقلون المسيرة ليؤخروا ونحن نُقوِّمُ لندفعها للأمام، وهذه

خطوة متواضعة تتلوها بعون الله خطوات، فافسحوا الطريق أمامنا لنكشف وندحض سمومهم ككتيبة شابة من الكتاب الإسلاميين، والله الموفق لما فيه الخير.

فوزي صالح
دبي في ١٩٨٨/٢/٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنَّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إنَّ الله لا يحب الفرحين (٧٦) وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إنَّ الله لا يحب المفسدين (٧٧) قال انما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون (٧٨) فخرج على قومه في زينته، قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنَّه لذو حظ عظيم (٧٩) وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقَّاها إلا الصابرون (٨٠) فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين (٨١)﴾.

صدق الله العظيم.

(القصص)

منظر عام:

غرفة نوم مفروشة بسجّادةٍ ذات وبرٍ كثيفٍ من نوعيةٍ ممتازة. . . أرضيتها الزرقاء منقوشة بنمنمات صغيرة بيضاء منتظمة عند الأطراف، وفي الوسط دائرة من لون أفتح، عليها أطفال ذوو أجنحة وشعر طويل ينسدل على الأكتاف. مقعدان مريحان بينهما طاولة زجاجية بأعمدة من النيكل كروم. . . سرير متسع وملحاقته من طراز فخم ينسجم لونه مع لون جدران الغرفة الرمادي الفاتح. . مرايا وجهاز تكييف ومكتبة أنيقة وُزِّعَ على أرففها بتنسيق دقيق تلفاز وفيديو وبعض المجلدات. . . افطار خفيف على الطاولة عبارة عن بيضتين ومربة بالزبدة وقطعة (توست). . . يتمطّى النائب في منامته الحريرية. . . يتثائب ثم يقف بكسل شديد ـ بفعل السمنة الزائدة، يتناول (الروب) المزركش ويضغط على زرٍّ قبل توجُّهه إلى الحمّام الملحق بغرفة النوم فينفتح الباب وتدخل فتاةٌ ناهدةٌ تدفع أمامها عربةً فضّية عليها صحف الصباح. . . يدفع العربة بقدمه إلى داخل الحمّام برفق ويغلق الباب. . . موسيقى هادئة غير معروفة المصدر تمتزج برائحة عطرٍ منعش. . تخفت الموسيقى بالتدريج فينقضُّ صوت مذيع أجش زاعقاً: جولة في صحف اليوم. . .

الرئيس يقول: الأزمة لن تُحَلَّ في يومٍ وليلة. . . على العاملين كلٌّ في ميدانه أن يبذل قصارى جهده لزيادة الانتاج ـ الرئيس يلتقي رئيس الوزراء والمجموعة الاقتصادية ـ خسارة القطاع العام مائة مليون جنيه خلال السنة الماضية ـ وزير الاقتصاد يقول: الدعم فقط لمن يستحقه ـ هروب حافظ النَجَاوِي بعد استيلائه على عشرين مليون جنيه من عِدَّة بنوك. . .

يُفتحُ باب الحمَّام فجأةً ويندفع النائب صائحاً: وجدتها. . وجدتها. . يمسك بسماعة التليفون ويدير القرص. . . على الطرف الآخر رئيس تحرير جريدة الإنشاء شبه الرسمية.

ـ آلو. . . من؟

. . . . .

ـ غير معقول. . صباح الخير. . . صباح الندى. . استيقظت اليوم مبكراً ماذا حدث؟

. . . . .

ـ آه. . . كانت سهرة رائعة. . الله في العون يا صديقي جلسات في الصباح وسهرات حتى الفجر، ومشاكل أبناء الدائرة التي لا تنتهي. . مجاهد أنت ورب الكعبة. . هيه في سبيل البلد يهون كل شيء. . أيه؟ ماذا تقول؟ أعد ثانية من فضلك. . يا الله

فكرة مذهلة لا يمكن أن يتخيلها مخلوق.. سترى صداها غداً، لكن عدني أن يكون الخبر لنا وحدنا..

.....

- لا لا الهيئة ليس لها دخل في مثل هذه المسائل، فقط نستأذن من وزير الاستصلاح لأن المنطقة تدخل في نطاق عمل وزارته ولكن بعد كتابة الموضوع. سأدبِّج لك تحليلاً يقلب الدنيا.. دع الأمر لي... صدِّقني.. مشروعك سيحل الأمة جذريًا.. أبشر يا صديقي جائزة نوبل ستأتيك من السويد عدواً.. سأمر عليك مساء والعشاء عليَّ الليلة احتفالاً بعقليتك المبهرة.

صحف اليوم التالي وما تلاه من أيام

منشيت رئيسي:

الأزمة الاقتصادية على وشك الإنفراج. نائب دائرة السبوع يقترح البحث عن كنوز قارون في منطقة الفيوم، ويرى تجنيد طلاب - المدارس والجامعات لتنفيذ هذا العمل الوطني الجليل.. النائب يقول: عرَّافة هندية قابلتني من سنوات في شارع جانبي بلندن صدفة فأخذت بتلابيبي وهتفت: «تخرج من أرض مَرْ. وَرْ المباركة من آمون الإله على حصان أبيض.. يمجِّدك كل من يراك.. تجوب المعمورة، ومن خلفك عصبة كالبرق في لمعانه

وشموس ذهبية تتوالد، وأقمار ترفع اسمك عالياً، وعلى يديك تتغير خارطة العالم، فحذارى من البوح قبل انحسار المدِّ.. ثم سقطت ميِّتة، وها هي ذي نبوءتها قد تحقَّق جزء منها.. الرخاء تحت أرجلنا دون أن ندري..

(تحليل إخباري على صفحة داخلية كاملة تتوسطها صورة كبيرة للنائب.. على الصفحات الداخلية الأخرى استطلاعات ولقاءات مع متخصصين).

خبير آثار يقول: صحراؤنا الغربية ملأى بالكنوز التي لا تقدَّر بثمن، ولكن جهات معروفة لا تسمح لنا بالتنقيب دون ابداء الأسباب، وأقرب مثل على ذلك رفض مشروع البحث عن كنوز وأسلحة جيش قمبيز ابن قورش الذي اختفى وسط كثبان الرمال بطريقة مبهمة وهو في طريقه إلى واحة سيوة لتأديب كهنة آمون بسبب اذاعتهم نبوءة سيئة تتصل بحياة ملكهم.

خبير جيولوجي:

مياه بحيرة قارون مختلفة عن مياه بحيرات العالم، إذ تحتوي على نسبة عالية من المعادن النقية، كما أن حوافُّها جرانيتية، وهذا يعني أن ثمَّة تغيُّرات حدثت للطبقات الأرضية في هذه المنطقة ذات التربة الرملية، ومن الجائز جداً أن جزء من معادن كانت سائدة في فترة زمنية ما انصهر بفعل الضغط والحرارة داخل باطن الأرض وذاب فيها بعد نشوئها من جرَّاء الانقلاب الطبقي المتخيَّل، وهذا ما

يدعونا للاتصال بعلمائنا المتخصصين في الغرب لتصوير وتحليل تربة الأماكن المقترحة بالأجهزة الحديثة اختصاراً للجهد والوقت والمال.

.....

جلسة عاصفة تحت قبّة البرلمان.. الأعضاء بين مؤيّد للفكرة ومعارض...

نائب من حزب معارض يقول:

قصة قارون عبرة وعظة للكانزين الذهب والفضّة والظالمين والمفسدين في الأرض، ولا أدلّة يقينية على وجود الكنوز، إذ ربّما تكون قد طُمِسَت أي تحوّلت إلى حجارة كدعاء موسى عليه السلام على فرعون كما جاء بنص القرآن ﴿وقال موسى ربنا انّك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا، ربّنا ليضلّوا عن سبيلك، ربّنا أطمسْ على أموالهم﴾، ﴿فلا تكونوا كالذين أشربوا في قلوبهم العجل، ألا ساء ما تفعلون﴾. /صيحات استنكار تغطي على صوته فينسحب غاضباً ومعه نواب حزبه/. نائب من حزب الأغلبية/.

نعلم أن ما أورده الزميل فيه شيء من الصحّة خاصة ما جاء في توصيف القصّة وبيان ماهيتها، لكن ما جاء على لسانه من صيغ احتمالية مثل (إذ ربّما تكون قد...) محض تصورات واجتهادات شخصية، بمعنى آخر ومن كلامه، لا أدلّة يقينية على صدقها،

والخطاب في الآية الكريمة كما يبدو من السياق خطاب تمنٍّ ولا يوجد ربط بين ما تمنّاه موسى عليه السلام وما حدث لقارون، فالآية الخاصة بالخسف تقول: «فخسفنا به وبداره الأرض» والخسف في القاموس يأتي على الصور التالية: خَسَفَت الأرضُ خسفاً وخسوفا: غارت بما عليها، ويقال: خسف الله بهم الأرض: غيَّبهم فيها، وعين الماء: غارت، والقمر: ذهب ضوءه أو نقص، والعين: عميت، فهو خاسف وهي خاسفة، وفلاناً: أذلّه وحمّله ما يكره، والخسف: الظلم يقال: سام فلاناً الخسف، وسامه خسفاً: أذلّه...

أمّا الطمس الذي يأتي بمعنى التشويه أو الفساد أو المحو والإزالة، فلا علاقة له بالخسف كما يظهر من المقارنة.

من هنا نرىٰ يقيناً غير منقوص أن الكنوز حفظها الله كما حفظ بدن فرعون لتكون آية ـ أمارة ومعجزة، والآية لا تتحقق إلا بالرؤية المحسوسة إذ المقصد منها الاقناع بقدرة أو رسالة، فإذا طمست تحولت إلى شيء آخر وانتفت المعجزة المراد اظهارها للخلف، ونحن نرفض فكرة التحوُّل التي يعتقد في حدوثها الزميل الفاضل، ونؤمن إيماناً راسخاً في وجودها على حالتها الأولى.

* نائب مستقل يرفع يده طالباً الكلمة فيتجاهله رئيس الجلسة، وهنا يلوح بورقة في يده الأخرى مردداً كلمات يبدو أنها جاءت على غير الهوى، إذ انقض عليه نواب وانتزعوه من مكانه

انتزاعاً ورموه خارج القاعة ثم استكملت أعمال الجلسة ثانية وكان شيئاً لم يكن، وحتى لا يحدث التباس بين هذه الحادثة وحادثة أخرى تمت بذات الكيفية في نفس المكان ولكن في زمان سابق، إذ قاطع نائب مستقل من حزب محظورٍ «الكبير» أثناء خطبته المعدَّة لتمرير نتائج مخزية لسفرة قُوبلت بسخط شعبي شديد، ملوِّحاً هو الآخر بأوراق في يده ومردِّداً كلمات اعتبرت في حينها بذاءة وصفاقة وخروجاً على الإجماع، فانقضَّ عليه نُوَّابٌ وأشبعوه صفعاً ولَكْماً ثم ألقوه خارج القاعة مضرَّجاً في الدماء، وفي الجلسة التاريخية اقترح نائبٌ صديقٌ له من المشاركين بعنف في العملية السابقة إسقاط عضويته مستنداً على حديث شريف عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر، فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية» لذا أجدني مضطراً للتنويه حتى لا تختلط الأحداث.

* بيان ختامي دُوِّنَ في مضبطة الجلسة:

(اغلاق المدارس والجامعات لأجل غير مسمى تمهيداً للبحث بموافقة ثلثي الأعضاء. رُفعت الجلسة في تمام الساعة..... يوم.....
الموافق..... ميلادية)

«توقيعات»

«الخـــــروج»

﴿ونادى فرعونُ في قومه، قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون (٥١) أمْ أنا خيرٌ من هذا الذي هو مَهِينٌ ولا يكاد يُبِينُ (٥٢) فلولا أُلْقِيَ عليه أَسْوِرَةٌ من ذهب أو جاء معه الملائكةُ مقترنين (٥٣) فاستخفَّ قَوْمَهُ فأطاعوه إنَّهم كانوا قوماً فاسقين (٥٤) فلمَّا آسفُونَا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين (٥٥) فجعلناهم سَلَفاً وَمَثلاً للأخِرين(٥٦)﴾.

سورة الزخرف.

﴿وما أرسلنا في قرية من نذيرٍ إلاَّ قال مترفُوها إنَّا بما أُرسِلْتُم بِهِ كافرون﴾.

سورة سبأ (٣٤)

﴿ فإذا مسَّ الإنسان ضُرٌّ دعانا ثم إذا خوَّلناه نعمةً مِنَّا قال انَّمَا أُوتيته على علمٍ، بل هي فتنةٌ ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون﴾.

سورة الزمر (٤٩)

﴿وَذَكِّرْ فإن الذكرى تنفعُ المؤمنين﴾.

سورية الذاريات (٥٥)

* بدأت الهوجة واندفع الخلق إلى الناحية الغربية من القطر كهولاً وشباباً وصبياناً حاملين معهم معاولهم وما خف وزنه من القوت الجاف يتدافعون بالمناكب متفقين ولأول مرة على هدف واحد وان كان في الأصل ذاتياً محضاً/ لمصر والمصريين/، وتمتلىء الطائرات والمراكب القادمة من الشرق عن آخرها بالعائدين... بريق الذهب يغشي العيون ويملأ القلوب بالأمل الجامح... الحشود الهائلة تفني في طريقها الأخضر وتحيله إلى محل... لا يهم - الذهب سيصلح كل شيء، وتنتقل وحدات كاملة من الجيش إلى الغرب لتنظيم العمل، ويندس كثيرون منهم وسط الهوجة تاركين أسلحتهم خلفهم غير آبهين بالتهم التي قد تكلفهم رقابهم... أبراج أحلام التملك تهصر الرؤوس - هصراً عنيفاً فتتداعى فضاءات شاسعة من الآتي المغاير إلى الدم والنخاع طاردة الآمال الصغيرة المنسوجة قبلاً في سراديب النفس: يا حسين يا راعي المساكين ألهم محبيك اصرارك الفتي وقوِّنا على الصخر... مدد يا طاهرة... ويهمس مسؤول كبير في أذن رئيسه الأعلى:

- إنها الثورة...

- أي ثورة تقصد؟؟؟ يقولها والعرق البارد تمتطي حبيباته الجسد المفزَّع...

- أعني قد تنقلب إلى ثورة إذا لم يُعثر على شيء، المصانع توقفت

والأرض بارت ـ واللصوص سلبوا ما تركه الناس . . . ما العمل؟

ـ يا غبي ماذا دهاك!!؟ الكنوز موجودة ليس في ذلك أدنى شك كما أكد المتخصصون، والجيش ينظم العملية فلماذا نخاف؟؟

ـ وهب يا سيدي أن العدو استغل الموقف وقام بضربة مفاجئة . . .

ـ لا أظنه غبياً إلى هذه الدرجة مثلك . . . هذا أمر داخلي ولن تسمح له القوى الكبرى مطلقاً بذلك . .

ـ لكن من أين نطعم كل هذه الجموع والحال كما وصفت؟؟

ـ بسيطة يا جاهل . . نستورد بضمان الكنوز معلبات . .

ـ فكرة رائعة ـ لكن ـ هل نأكل نحن أيضاً معلبات؟؟

ـ ويصطلي القفا السمين بصفعة ينحدر وقعها إلى اللسان فينعقد، ويصبح الكلام مرادفاً لانقصاف الرقبة فيتحول تلقائياً إلى موجات منعكسة توجه مجرى الفعل إلى انحناءات عضلية خارجية ترصد الشرر المتطاير من بؤرة النار في محاولة استدرارية لتشتيته قبل وقوع الكارثة، ورغم الورم الحادث من ركلة مباغتة في الوجه لحظة التماس إلا أن الشفتين المتعامدتين مع الأحمر القاني افترّتا عن بسمة رضي تنبىء بزوال الخطر . . .

ـ أغرب عن وجهي . . .

وينقبض البنكرياس مستحثاً عصارته لحرق ما تبقى من السكر، فيتهالك الجسد غائباً عن الوعي..

وتتبدل الوجوه على خريطة الأحداث المؤارة بالغريب دوماً، ويقترب المسؤول الجديد من أذنه بعد عدة انحناءات ونكات تنقشع بها غيامات الرؤى السابقة:

- يحكون يا سيدي (كما جاء عن الثقات) أنه كان يمتلك نصف ثروة البلد، وأن قصره المهيب المطل على البحيرة العظيمة لَبِنَاتِه من الذهب والفضة والزمرد... تشع اشعاعاً يذهل الزائر قبل الدخول عليه فينسى غرضه... أسقفه المتعددة الأشكال صنعت من خشب الصندل.. رائحته الفوّاحة تُشم من بعد خمسين ميلاً... بناه له نفر من الجن على شكل قصر في الجنة زخرفة وفُرُشاً وتكويناً إذ أنه كما هو متواتر أُعطي سر الاسم الأعظم وفي رواية ثانية قيل علم الكيمياء وفي رواية ثالثة هذا وذاك ومعهما السحر، وكانت أشعة الشمس يا سيدي تنعكس بفعل اللبنات فتنير نصف الكرة الأرضية الشمالي ليلاً... أعجوبة الأعاجيب كان، أما كنوزه فسبحان المعطي الوهاب... الصندوق الواحد منها يحمل على أربعين بغلة مسلمة (أي مبرأة من العيوب) وقيل يا سيدي أن القصر بكل ما فيه غار في الأرض وغمرته مياه البحيرة فأصبح ماؤها مالحاً..

- ولماذا حدث هذا؟؟

- قيل يا سيدي أنه تجبر وتكبر وأنكر نعماء الله عليه، وقيل أنه خرج على قومه في زينته وقد أرخى طرف ثوبه شبرين زيادة فعوقب على غروره ونكرانه بالخسف، وعلى ذلك الرأي أغلب المفسرين...

- وهل سنعثر على القصر كما كان؟؟؟

- بالطبع يا سيدي، وأتخيل فخامتكم تتربعون وسطه بعد عمل الصيانة اللازمة ووفود المهنئين من الشرق والغرب يهلون مباركين وبين أيديهم الهدايا والمكوس تقرباً من أعظم رأس يحكم أغنى بلاد المعمورة قاطبة...

وتنفرج الشفتان الغليظتان عن بسمة ينحسب ماؤها إلى العينين الذابلتين فتبرق، وتتسع الحدقتان المختلطتان بالأبيض والأصفر مادة خطوطها الهلامية للبعيد....

- يومها ستكون لك الحلاوة....

- حلاوتي يا سيدي في رضاكم...

- ونحن عند قولنا.. أجلس...

- أجلس!! كيف أجلس يا سيدي في حضرتكم؟؟؟!

- قلنا أجلس.. أنت اليوم عندنا مكين، ساجعلك أميناً على كنوزي...

بيان من المجلس اليهودي العالمي

قارون من بني اسرائيل هذه حقيقة لا يمكن انكارها، فإذا ما عُثر حاضراً او مستقبلاً على أيِّ شيءٍ يخصُّه مهما كانت قيمته، فانه تبعاً للأعراف والقوانين اليهودية المقدسة ملك لشعبه لا ينازعهم فيه منازع، ونحن نحذر مقدماً لأننا لن نتردد في الرد وبقوة، وقد قدَّمنا مؤخراً لمحكمة العدل الدولية وللأمين العام للأمم المتحدة صوراً من مستندات تُثبت حقَّنا التاريخي لهذه الكنوز أينما كانت، علماً بأننا لن نسمح مطلقاً لأُمِّيٍّ من أي ملَّة بالتنقيب أو البحث عن أي شيء يمس قدسية تاريخنا وديننا ويقلقل عظام الجدود الذين لاقوا من عنت وظلم فراعين مصر في سبيل الرب الكثير - إلاَّ عن طريقنا وبأيدينا طبقاً لتعاليم التوراة.

ردٌّ رسمي على بيان المجلس اليهودي العالمي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾.

صدق الله العظيم

مصر دولة حرة مستقلة ذات سيادة، ومن هذا المنطلق نرفض

رفضاً قاطعاً تدخلكم السافر في شؤوننا الداخلية، ذلك التدخل الذي يتنافى مع الأعراف الدولية والمواثيق التي نصَّ عليها دستور الأمم المتحدة، ولأن استضفناكم في مرحلة زمنية موغلة في القدم على أرضنا، فليس معنى ذلك أن تطالبوننا اليوم بحقِّ الضيافة لأننا بالمقابل سنطالبكم بردِّ ما سلبتموه منَّا عند خروجكم من حليٍّ صنعتم بها عجلاً تعبدونه من دون الله، ونحن بالضرورة لن نتقاعس عن الرد مهما كانت النتائج دفاعاً عن حقوقنا وأرضنا...

* توقُّف العمل بالمرحلة الثانية لمترو الأنفاق.. الخبراء يقولون: لن يضيرنا في شيء التوقف الآن فغداً ننفِّذُ المرحلة الثانية والثالثة والرابعة وقد يمتدُّ المشروع من أقصى الشمال إلى السودان الشقيق ومن طابا إلى ليبيا، وإلى كلِّ الدول العربية إن أرادت كخطوة أولى لوحدة شاملة، كان ينقصنا التمويل، أمَّا الآن فنحن نمتلك والحمد لله القناطير المقنطرة من الذهب، إذْ يقدِّر المتخصِّصون القيمة السائلة للكنوز بآلاف المليارات.

* بيان أول *

العثور على صخرة كبيرة من البازلت على عمق خمسين قدماً يُرجِّح أنها تسدّ فوَّهة السرداب المؤدِّي إلى الكنوز...

(هزةٌ عنيفةٌ في أسواق الأوراق المالية العالمية وانخفاض رهيب للدولار واليين أمام الجنيه المصري ـ الخبراء الاقتصاديون يتوقَّعون

تحوُّل الجنيه إلى عملة رئيسة مستقبلاً).

في الليل الصحراوي الممتدُّ تهمد الأجساد المتعبة، وتتَّصلُ بالرؤوسِ القلقةِ خيوطٌ تتهطَّلُ من بؤرةِ الأحلامِ، فتمَّحى ملامح النزف النهاري وتنعزل ملامح أخرى ملونة تنساب مدغدغة الحواس الملبوسة حدَّ التمازجِ بالنهر السيَّال الموزعِ ماؤه العسلي في الحنايا بأغنيات ندية.. سكن الليل والعصافير آوت إلى أوكارها، وتُطلُّ الجدَّةُ من نافذة النهر نابشة الذاكرة القديمة لسيد بن بركه العائد لتوِّه من الشرق النفطي مخلِّفاً وراءه ما كان بالأمس حلماً:

ـ لِمَ كل هذا التعب يا سيد؟

ـ الأرانب الصغيرة يا جدتي لا تبقى ولا تذر والحال كما تعلمين ضيق.

ـ يبدو أنك نسيت يا بني.

ـ نسيت ماذا يا جدتي؟

ـ الخير يا سيد.

ـ أي خير؟

ـ احفر تحت الجدار الشرقي وسترى.

ـ أي جدار يا جدتي؟

ـ جدار بيتك يا ابن ابني في الجمالية...

ـ ولكنني دخت في بلاد الغربة حتى بنيته . . فكيف أهدمه بيدي يا جدتي؟؟؟ ويشتبك بخيوط الرأس خيط آخر يشعل الذاكرة . . . ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان أبوهما صالحاً، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما، ويستخرجا كنزهما، رحمة من ربك، وما فعلته عن أمري، ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾ .

. . . . .

حملته في بطنها عشرة أشهر على بطنين ساقطين. وليلة خروجه من عتمة السرِّ كان لصراخها فعل القيامة إذْ ظُنَّ في البداية أنه حريق، فانطلقت أصوات الخلق: حريقة . . . حريقة . . .

ولمَّا لم يشاهدوا دُخَاناً يؤكِّد الظنَّ، تبدَّلَ الحريقُ إلى قتيلٍ قتيل، وانقلبت باحة الدار الزلقة والحوارى المحيطة إلى محشر مهول، وسط دائرة الهلع وضيق التنفس وعرق الشتاء المؤذي سقط لحظة انفلات آخر عضو من تكوينه الفريد أبوه ميِّتاً . . في الأشهر الأخيرة اختلفا على الاسم، قال: لو كان سأسميه ولو كانت فلكِ . . . قالت: نتبرَّكُ بالاسم الزكي الذي تصادف مشاهدته منقوشاً في الأفق بحروف نورانية بعد مطر الأمس ان كان . . لكنَّ امرأة من أقصى البلدة جاءت تسعى وروت ضمن ما روت أنها عاينته في الرؤيا أسودَ كفحمة محاطاً بالأسياد فأضيفت كنْيَة للاسم الزكي عُرف بها. أمَّا أمه فقد ماتت بعد الولادة بأيام، وعند غسلها لوحظ أن بطنها

يتحرك! ففزع الناس وولّوا هاربين، وعند تشريح الجثّة فوجىء الطبيب بجنينٍ حيٍّ في رحمها، من هنا كما يعتقد البعض كانت «ابن بركة»، وفي روايـة أخرى قيـل أنها مأخـوذة من اسم عمته التي تعهدتها صغاراً حتّى كبرا، وتصعيداً للرواية قيل أن اللبن جرى في عروق ثدييها الأعجفين فتضخما رغم عنوستهـا وسنيها الستـين/ وهي في ظني مزحة أضـافها متفلسف تـأثر بحكـاية الغـزالة التي أرضعت «حي بن يقظان» في قصة ابن طفيل المشهورة، أمّا أخوه اختفى فجأة بعد أن باع ميراثه فالتصقت التسمية به وحـده دون منازع...

وإذ تبهت الخيوط وتنسدل ستارة نهاية العـرض، يفيض النهر حاملاً في اندفاعه الفتي «ابن بركة» مستبشراً بـزقزقـات عصافـير الصبـاح التي ترقُصُ كـريّات الـدم في مكامنهـا، كم من الوقت استغرقته رحلة العودة؟ لا يدري، وتهتف به امرأته الضامرة:

ـ خير يا سيد... لماذا عدت؟؟

ـ الكنوز هنا يا امرأة فاحفظي السرَّ...

ـ أي كنوز وأي سر؟ هل جننت؟

ـ المجانين هناك يا امرأة... هيا نحفر قبل أن يحس الجيران.

ـ نحفر!!

ـ نعم نحفر تحت هذا الجدار. . . الخير قادم.

ـ السر. . الكنوز. . الجيران. . . نحفر. . . الجدار. . . ماذا حدث لك يا سيد؟؟

ـ شدٌّ وجذبٌ وعراك حتى رضخت. . .

(بيجن يخرج عن صمته ويقول:

المكان الذي يُعثر فيه على الكنوز أرض اسرائيلية يجب أن تُحرر، وعلى اسرائيل أن تعدَّ العُدَّةَ لذلك الخطر القادم من الحدود الغربية، ولتنسُّق وتتكاتف مع الأخوة الفلسطينيين لدرئه).

ـ بُعْدَكَ يا ابن كوهين. . . اضربْ رأسك في أقرب جدار. . .

* بيان ثان *

«العمل يجري على قدم وساق لرفع الصخرة». (أمريكا تحذِّرُ وتدعو دول حلف الأطلنطي والكتلة الشرقية إلى اتِّخاذ اجراءات جماعية ضد مصر قبل فوات الأوان ـ الأساطيل الحربية تتجه إلى الأبيض المتوسط. . .)

ويرفع «ابن بركة» رأسه المُغبَّر من بين أكوام التراب خارجاً لسانه:

ـ اشربوا من أي بحر يحلو لكم. . التبغ يا امرأة. . . لم يبق إلا القليل.

ويرتدّ السيل إلى الوراء. . . إلى قرية صغيرة في دلتا النهر وليلة بعينها وسط آلاف الليالي الموحشة. . غرفة كئيبة ضيقة تدهمها أصوات مبهمة قادمة من المقابر المتاخمة. . . دقات نقية على الشباك فيها رنّةُ النحاس، فيقف الشعر من المفاجئة:

ـ من؟

ـ أنا يا سيد. . .

ويصهد الجسد الفتي وتتحفز فيه نوافير الرغبة. . أنثى. . .

ـ من أنتِ؟؟

ـ افتح يا سيد. .

ويذهل إذ ينفتح الباب دون أن يمسه، وينسحبُ منوماً إلى الغرفة تدفعه ريحٌ دافئة، وإذ يُغلق البابُ يبصر بها متكئة على سريره القديم. . . كتلة من النور المجسّد:

ـ من أنتِ؟؟

ـ لا ترفع صوتك. . . أنا حليلتك. . . اخترتك من دون العالمين فاحفظ السرَّ تَسْلَمْ. .

ـ لكنني. . .

وتذوب عروق الثلج المتغلغلة في مسارب الدم قبلاً بفعل السخونة، ويتكرر الوعد شهوراً طويلة حتى تنطفىء ثورة الجسد فيبوح، وتأخذه سنة من نوم ذات نهار ملبَّد بالقرف يصحو بعدها فيجد نفسه في قاعة محكمة ممتلئة عن آخرها بأشكال غريبة، ويُبصر

بها عن جُنُبٍ منكّسة الرأس تنسكب سيولٌ نارية من عينيها المستطيلتين..

ـ يا سيد أنت متّهم بإفشاءِ السرِّ..

وتأخذه المباغتة فيصمت..

ـ يا سيد... وَعَدْتَ فأخلفتْ...

ويهدر صوت رعدي من أقصى القاعة:

ـ حذّرتها فعصت واستكبرت وفضّلت الحمأة التنة على النار المقدّسة... جزاؤها يا سيدي من صنف جزائه...

* الرحمة يا أسياد.. ضعف انساني..

ـ حكمنا عليك يا سيد بالتشرد سنيناً، لكن الخير قد يلحقك في آخر أيامك...

* بيان ثالث *

السرداب ينهار على من فيه بعد رفع الصخرة.. بدء الحفر من الجهة الأخرى.

مصر تغلق سفارتها في تل أبيب وتطرد البعثة الدبلوماسية الاسرائيلية.. مصدر مسئول يقول: المعاهدة ألغيت تلقائياً بعد التحرشات الأخيرة على الحدود...

شاعر متفائل صدر مرسوم مفاجيء بتنصيبه أميراً للشعراء

كنموذج مشرِّف لما يجب أن يكون عليه الشعراء والمثقفون:

«إن شجرة الجميز الصغيرة التي غرستها بيديك
ها هي ذي تتهيأ للكلامْ
وانَّ كلامها كالشهدِ المقطَّرْ
انَّها فاتنةٌ وان غصونها جميلة.
مخضرَّة أكثر من الحشائش والفيروز
وهي محملة بالثمر الذي يفوق العقيق حمرةً
وأوراقها مقل اللازورد...
بستانيوك سعداء ويتهللون لأنهم يرونك
رغم أنهم مثقلين بأدواتهم
فتقدَّم
الرخاءُ قادمٌ على يديك الكريمتين...»(*)

خبرٌ مهمل في صحيفة محلية: انهيار منزل جديد من ثلاثة طوابق في حي الجمّالية الشعبي. تشققات وانهيارات جزئية في المنازل المجاورة وخسائر الأوراح غير معروفة حتى تاريخه.

أخبار أخرى متفرقة:

العثور على نائب السبوع مقتولاً في شقته بمصر الجديدة.. النائب النشط كان مرشحاً للوزارة في التشكيل الجديد... الداخلية تشير من طرف خفي إلى تورُّط الموساد في العملية.

شاعرٌ متشائمٌ صُعق بالكهرباء وان ادُّعي انّه انتحر نتيجة هبوط نفسيٌّ حاد:

لديكَ الحكمة والبصيرة
ولكنك تترك الفساد ينهش البلاد
الحقيقة أنك أوصلتها إلى هذا الخراب
والحقيقة أنك تتفوه كذباً
فلا يتلبسك دور المنقذِ
لأنك كالذي يعطي عند الفجر ماءً
لطيرٍ سيذبحه باكراً في الصباحْ. . .»(**).

---

* اشاعة قوية سرت في القطر ــ لم تكذّب رسمياً ـ تقول إن الشاعر لم يُصعق بسبب القصيدة ولكن لانه ادّعى ان صديقه نائب السبوع قُتل عمداً مع سبقِ الاصرارِ والترصّد، وعُرف المحرض بالاسم ملمّحاً ولأول مرة ان النائب كان مشغولاً في الفترة الأخيرة بنبوءة العرّافة الهندية التي قابلته في لندن، وكان يهيء نفسه لتسلم التركة الثقيلة التي سيرثها عن سلفه، بل انه اختار بالفعل وزرائه ومستشاريه، وكان يعقد في بيته علانية الاجتماعات ويصدر البيانات والتوصيات ويستدعي سفراء وقناصل الدول ـ المعتمدين لدى القطر للتشاور وتبادل وجهات النظر ويرسل مبعوثين شخصيين لملوكٍ ورؤساءٍ بوصفه الزعيم المرتقب الذي على يديه سيتغير العالم، واطلق على بيته اسم بيت الشعب. . .

* بيان رابع *

بشرى سارة لأهالي القطر... خبراء الآثار يعالجون أقفال الصناديق البرنزية التي اكتشفت في السرداب...

شهود عيان/ سُملت عيونهم فيما بعد/ يؤكّدُون ما بثّته وكالات أنباء محايدة: الفئران توحّشت وأهلكت الزروع ومخازن الحبوب وخطوط الكهرباء ووسائل المواصلات ونخرت الجدران والبالوعات فغرقت البيوت والأنفاق بمياه المجاري...

نائب الدائرة العاشرة في الشرقية يؤكّد أن الكنوز موجودة في المنطقة المسمّاة بتلّ بسطة ـ قديماً، ويقترح هدم مدينة الزقازيق...

(نص مقابلة أجراها متصاحف لم تبت المحكمة بعد في أحقيته لعضوية نقابة الصحافيين ـ مع نائب الدائرة العاشرة في مجلة ماستر توزع باليد مجاناً. . . .)

* سيادة النائب: كان لاقتراحكم الذكي بخصوص هدم مدينة الزقازيق صدى عنيفاً في الأوساط السياسية، فهل لهذا الاقتراح جذور انطلقتم منها؟

ـ بالطبع لاقتراحي جذور وسوق وأوراق كذلك وهو ثمرة بحث مضنٍ دام سنينا، وسوف يأتي بثمار مباركة إن شاء الله عندما يدخل في طور التنفيذ، فعندما اقترح زميلي نائب السبوع البحث عن كنوز قارون في منطقة الفيوم بهدف حلّ الأزمة الاقتصادية الخانقة قلنا: «جحا أولى بلحم ثوره»، وأدركت أن علينا التحرُّك قبل غيرنا، وأنت تعرف أن منطقتنا أهم بمراحل من منطقة الفيوم التي لم تكن سوى منتجع صيفي لملوكنا الصيد العظام، ومن المعروف تاريخياً أننا نعيش على أنقاض مدينة من أهم مدن العالم القديم. . . تل بسطة وما أدراك ما تل بسطة. . . جنة الله على أرضه كما وصفها هيرودوت المؤرخ، وموطن الجنتين المذكورتين في سورة الكهف ﴿واضرب لهم

مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً» وعاصمة أسرتين من أعظم أسر الفراعنة قاطبة، ومنها انطلق كامس وأخوه أحمس لطرد الرعاة الهكسوس، ومنها فوطيفار صاحب يوسف نبي الله وربيبه، وقد قرأت في بعض مصادري أن قارون أقام بها، وأنه ذهب إلى الفيوم مصطافاً/ فقد كان له فيها استراحة ضخمة تطل على البحيرة المسماة باسمه قبيل الخسف بقليل، ولو تمعَّنا الآية الكريمة «فخسفنا به وبداره الأرض» لعلمنا أن الخسف كان به وبداره وبنفقات الرحلة التي كان يحملها معه، أما الكنوز الحقيقية فقد كانت في مخابئها السرية التي لا يعرفها غيره بتلٍّ بسطة . . .

ـ سيادة النائب: هل لهدم المدينة وما سيترتب عليه من تشريد الناس مردود إيجابي؟

ـ سأركز في اجابتي على نقطتين جوهريتين. . تشريد الناس والمردود ـ أو بمعنى أدق المحصِّلة . . . لن نشرد الناس كما تظن لأنهم هناك في الفيوم والمدينة خالية الآن الاَّ من نفر قليل من السهل توزيعهم على المراكز القريبة وهي الأخرى خالية وهذه فرصة يجب استغلالها سريعاً، نهدم المدينة في غيابهم مستفيدين من تكنولوجيا العصر، والعملية برمُّتها لن تستغرق أكثر من شهر، بعد

الهدم ينقسم فريق العمل إلى فريقين، واحد لاستخراج الكنوز، والثاني لبناء مدينة متكاملة على أحدث طراز في موقع آخر...

من هنا يأتي المردود الذي ذكرته... مردود سياحي ومردود تقني جمالي... أما السياحي فان المدينة القديمة «تلّ بسطة» ستسحب البساط من تحت أرجل الأقصر وأسوان والجيزة، تلك المدن التي استُهلكت سياحياً، وسيهلُّ الزائرون من كل أرجاء المعمورة لرؤية الأثر البكر الشاهد على عظمة تاريخنا، فيحدث الرخاء وتحل الوفرة، وأما الجمالي التقني فسيظهر بعد الهدم والتخلص من العشش والأزقة والقاذورات ومشاكل المجاري وما شابه، إذ ستكون المدينة كما وضّحت مقامة على أحدث نظم المعمار العالمي، وأمامي الآن كما ترى عروض من شركات عالمية شهيرة لتنفيذ المشروع بشقيه، سأعرضها على البرلمان في الجلسة الطارئة القادمة...

ـ سيادة النائب: ورد في حديث نائب السبوع حكاية العرّافة الهندية فما مدى مصداقيتها؟

ـ أيها الابن الكريم... النائب مات يرحمه الله وأنا لا أحب أن آكل لحم أخي مَيْتاً، لكنني للأمانة التاريخية سأطلعك على بعض جوانب القصة كسرٌ شخصي أرجو عدم نشره إلاّ في حدودٍ ضيقةٍ وبلا تجريح... القصة أن مولانا (الأنباري) وهو كما تعلم من أولياء

الله الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون همس في أذن جدِّي وكان يرحمه الله من أخلص مريديه عن بركةٍ ستحلُّ واسعة تخرجُ من صُلْبِهِ، وقد باح بها جدِّي لأبي قبل موته، وباح لي أبي بها في حياته، وكان النائب زميل دراسة نجلس على مقعدين متجاورين، وحدث أنني بحت له بمكنوني في لحظة صفاء ثم تفرَّقت بنا السُّبُل، ذهب هو مع أبيه إلى الجنوب وسحتُ أنا في بلاد الله الواسعة، وها هو ذا قد استغل مكنوني أسوأ استغلال وعزاه/ غفر الله له/ إلى عرَّافة هندية كافرة ليشتري به ثمناً قليلاً...

ـ سيادة النائب: وضح من خلال ردودكم أنكم تتمتعون بعقلية موسوعية تلم بكل أطراف المعرفة الانسانية قديمها وحديثها فما هي دراستكم؟

ـ أي بني!.. تخرجت في جامعة الحياة وخبرت دروبها ومسالكها، وهي جامعة لا تشترط إلا الاستعداد والاخلاص... لكنني توقَّفتُ في الدراسة النظامية عند حدود الشهادة الأولية، وانخرطت بعد ذلك في علم الحقيقة وغرقت فيه حتى أُترعت، والغرق لا يعني في عرفنا الموت كمفهوم الدنيويين، ولكنه ضرب من التحوُّل، وزهدت في الدنيا وعلم الناس، ولما وجدت أنهم في زماننا حادوا، رأيت في الخروج ضرورة يمليها الظرفُ ويحتِّمها، وها أنا ذا وسطهم أعلِّمهم ما استطعت تحصيله من قطرات بحر المعرفة الحقَّة....

ـ سيادة النائب... لو لم تكن هناك كنوز، ماذا تقترحون لحلّ الأزمة الاقتصادية؟

ـ السؤال من شقّين.. الشقّ الأول نصه «لو لم تكن هناك كنوز» ولو تفتح عمل الشيطان، وكنت أفضّلُ أن يكون على هذه الصورة «إذا لم تكن هناك كنوز...» تحرزا من الوقوع في الزلل.. لكن الكنوز موجودة كما وضّحت بالبرهان الجلي فلا ضرورة إذن لطرح هذا الشق لأنه ضرب من السفسطة التي لا طائل من ورائها، أمّا السؤال الحقيقي فيكمن في الشقّ الثاني «ماذا تقترحون لحلّ الأزمة الاقتصادية الراهنة؟».

أولاً: أعيد طرح اقتراحي القديم الخاص بهدم مدينة الزقازيق لإخراج الكنوز المطمورة تحتها والاستفادة منها.

ثانياً: بيع ما نملكه من مقتنيات الفراعين بدلاً من الاحتفاظ بها في متاحف تكلّف البلاد ملايين الجنيهات سنوياً تضيعُ سدىً في أعمال الصيانة والكهرباء والماء والتليفونات وأجور الموظفين وغيرها.

ثالثاً: هدم كل مدن وقرى الدلتا وتحويلها إلى مزارع نموذجية تنتج كل ما تحتاجه البلاد.

رابعاً: تحويل الأهرامات إلى مخازن غلال لخزن ما تنتجه المزارع في سنوات الشبع، وفي هذه الحالة لن نضطر إلى الاستيراد

والاستدانة في سنوات الجفاف، أسوة بما فعله يوسف عليه السلام.

خامساً: نقل كل المصانع والمدارس والجامعات والبيوت إلى الصحراء الشاسعة.

ـ سيادة النائب: ما هي قراءات سيادتكم؟؟

ـ قراءاتي نظرية، وأقصد بها ممارسة النظر بالحاسة في ملكوت السموات والأرض، والتفكُّر فيها، وعلم الحقيقة الذي أُشربته كما سبق القول لا يحتاج إلى كتب ومطابع آلية لأنه طُبع على قلوبٍ أهله بمدادٍ نوراني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يعروه التغيُّر والفساد كشأن غيره الذي هو من ابتداع بشر ذوي ملكات محدودة، فأنا أقرأ أروع القصائد في ورقة شجرة، وأعظم نظريات الاقتصاد في خلية نحل أو عش نمل، وأستمتع بصوت كروان أو ديك يؤذِّن في الفجر أكثر ألف مرة من كل سيمفونيات الدنيا.

ـ سيادة النائب: هل هناك نصيحة ما تود ابلاغها لشباب الدائرة؟

ـ شباب الدائرة بخير والحمد لله، وقد بدا ذلك واضحاً في استجابتهم الفورية للواجب الوطني الكبير، وفي استيعابهم السريع لدعوتي الأخيرة وتفهُّمهم لها وهذا مؤشر طيِّب يستوجب الفرح والبهجة، لكن هناك فئة قليلة خارجة تحاول بشتى الطرق هدم ما بنيناه بدعاوى فاسدة وممارسات خاطئة، وهذه الثُلَّة الجانحة نحاول

معها بالحسنى تحقيقاً لقوله تعالى: «وجادلهم بالتي هي أحسن»، وإذا أخفقنا سندعو لهم بالهداية ﴿انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ وواجب الشباب أن يتصدُّوا لهم ولأفكارهم الهدَّامة بالسلوك المستقيم لا بالعراك والشتائم ليكونوا قدوة ومثلاً يُحتذى، وستكون الغلبة والنصر لهم بإذن الله.

.....

.....

.....

مصانع الغزل والنسيج ومحالج الأقطان أضحت يبابا ـ جثث الحيوانات النافقة تسد الشوارع والأزقة، والكوليرا تحصد الأطفال والشيوخ ـ الصناديق المكتشفة تحتوي جثثاً محنطة لقطط وسحالى وكلاب من عصر سبتي الأول.....

(رسالة تحمل خاتم بريد الفيوم من شاب إلى خطيبته، عُثر عليها وسط كومة رسائل ملقاة خارج مكتب بريد ومؤشر عليها «لم يستدل على المذكورة» ويُعتقد أنها ذهبت مع من حصدتهم الكوليرا...)

أي حبيبتي:

من وسط طوفان العمل الشاق أكتب رسالتي.. أوحشتني طلعتك الطفلية البريئة وشعاع عينيك الرقيقتين الذي يحملني للبعيد المشرق، أتذكر الآن ما دار بيننا في اللقاء الأخير والحاحك على أن أسافر للخارج قائلة: نريد أن نتزوج قبل أن يخطفني ذو الكرش الرهيب.. وها أنا ذا قد سافرت ولكن للداخل في سبيل هدف أسمى... للوطن أولاً وللجميع ثانياً... قبل أن أنسى... رأيته بالأمس وسط الجموع ذا الكرش حاملاً مقطفاً مليئاً بالحصى على ظهره، واستغربت من الصدفة العجيبة غير المتوقعة، رمقني هو بحقد شديد يكاد يقفز من عينيه ليخنقني ولكنني في الحقيقة رثيت له... ماذا يريد هؤلاء من الدنيا؟؟ وتذكرت قصة قريبنا الثري الذي قتل أخاه لأنه أخذ من حقله حبة

طماطم... الناس في زماننا يا حبيبتي لا شيء يملأ عيونهم، شهوة التملك الطاغية والخوف من المستقبل المجهول وأشياء أخرى مبهمة تشدهم شدا إلى ذلك السلوك غير السوي، هل تذكرين قصيدة طاغور الرائعة التي قرأناها سوياً على شط الترعة من أعوام وأعجبنا بها أيما إعجاب؟؟؟

أما أنا فأتذكرها جيداً: (النقود في الجيب، والأشياء في السوق، ولكن أين الفتى العاشق؟).. كنت أسائل نفسي قبل ذلك عن سر اعتراض الوالدة على زواجنا رغم أنها كانت موافقة على الخطبة، وأراه الآن وجيهاً من وجهة نظرها التي أصبحت شبه جمعية، هي من منظورها الضيق/ وآسف جداً على هذا التعبير/ تريد أن تراك في شقة واسعة مفروشة بأحسن الفرش والتجهيزات، ولديك من المال ما يطمئن قلبها على مستقبل وحيدتها، من منظور نفعي بحت هي معصية تماماً، صدقيني.. أنا غير غاضب منها بعدما رأيت هنا التكالب المرضي سافراً، أناس نجوم كنا نحلم أن نراهم، أمامي الآن مثل الآخرين يحفرون، ولم أجد تفسيراً مقنعاً لهذه الظاهرة الفريدة... لكننا غير ذلك.. السعادة في عرفنا تأتي من العمل والطموح المشروع والقناعة والانسجام الروحي، أما الباقي فيأتي في ذيل اهتماماتنا كما تعلمين... يتهمنا البعض بالمثالية والرومانسية التي كما يقولون لا تطعم بطناً خاوياً، لكنهم ينسون ما أفرزته أنانيتهم وتسلقهم واستغلالهم من انحرافات

وسقوط أخلاقي يندى له جبين الحر . . . نحن على صواب مهما كانت معاناتنا . . . المستقبل لنا ثقى من ذلك تماماً، وسيذهبون جفاء كما يذهب الزبد الطارىء . . .

أي حبيبتي :

قريباً جداً ستنفرج الأزمة ويحل الرخاء، وسنتزوج وننجب أطفالاً في مثل حلاوتك وبراءتك وقناعتك ليكملوا ما رسمناه على لحاء شجرة التوت العتيقة وصفحة الماء الرائقة من خيالات رائعة ستتحول على أيديهم إلى حقيقة أكثر روعة وإشراقاً . . .

في انتظار رسائلك

المخلص دائماً

(. . . . .)

(قصة أطفال فازت بالميدالية الذهبية في مسابقة طرحتها جريدة الإنشاء شبه الرسمية حول الموضوع السابق ترويجه اعلامياً في نفس المكان... نُشرت وأذيعت في الراديو والتلفاز وقُررت في مناهج الروضة والابتدائية الدنيا...)

يا طفلي الصغير: أردت أن أحكي لك حكاية عن سيدة الحسن والجمال والأمير والحصان، حكاية رددتها كثيراً لكي تنام، فتحلم بالذي يعود، وينقذ الأميرة الحسناء من يد الأشرار والساحرة العجوز ذات الوجه القبيح والأظافر الطويلة المرعبة، يا طفلي الصغير لم تعد حكاية كهذه مسلية، فالذي يروح في أيامنا لا تخلصه شجاعة الأمير، ولكن فدية الأمير، والساحرة العجوز ماتت من غابر الأزمان، وخلفت وراءها عصابة مسلحة، تبث رعبها في قلب كل حي، الوقت غير ذاك، فالرخُّ طار للبعيد، لم يعد له على أرضنا وجود، والسندباد لا يغامر اليوم بالابحار في الألغام باحثاً عن الجزيرة العجيبة، لأنه يحارب الأعداء في الشمال، ألقى عصا الترحال والعمامة الملونة، على رأسه الجميل خوذة الميدان،

ومدفع أمامه يصب ناره على الطائرة الغريبة وقنبلة... علي بابا كان يا ما كان/ ربابة المنشد اللحوح لحنها المشروخ يبعث الضجر، يا طفلي الحبيب ولّي زمان الخيال السقيم، حكاية اليوم غير تلك، لأنها من الحياة، الفارس الآن من يشيل فأسه لرفع هامة الوطن، عن كنزه المدفون يرفع التراب، وها هي ذي الحكاية: في سالف العصر كان ـ ملك ظالم يعيش في الفيوم، المال في خزائن الحديد رُصَّ في ألف صندوق وصندوق، ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان، وكلما أتاه معسر يريد حاجة يشير للحراس، فيحملونه لساحة العقاب بالسياط يلهبون جلده، وذات يوم زاره غريب، قال:

ـ يا أيها الملك... أحسن كما أحسن الله اليك.. قال: بذكائي وعلميَ صنعت المال لم يعطني أحد... قال: يا أيها الملك... النعيم لا محالة زائل والعمر لا يدوم... قال: أنا الذي أحيي وأميت... وأشفي وأمرض... أرزق وأمنع... أنا ربكم الأعلى فاعبدون. وزاد بغيه وكبره وعذّب الغريب. يحكون أنه مرض... أصابه الهزال فجأة، فطاف في البلاد باحثاً عن الدواء ـ لم يغن عنه ماله وما كسب، ولما ضاقت به السبل، أشار صارخاً: إليَّ بالغريب... لكنه كان قد ذهب... قال له حكيمه العجوز: في دم طفل رضيع شفاء سيدي... قال: وأين ذاك

الطفل كي أشتريه؟؟ قال: الطفل ذو علامة كالوشم في الجبين... وطاف رجاله البلاد ينظرون كل طفل يُولد، لكنهم كانوا بلا علامة، وحدث أن طفلاً له وُلد، على جبينه الوضيء تبرز العلامة، فقال للحكيم: لا أستطيع ذبح طفلي فابحث عن البديل، سأعطي بوزنه ذهباً.. قال: لا بديل سيدي... نذبحه لكي تعيش... وظل ليله مسهُداً لا يقرب النوم جفنه، وفي الصباح قال للحكيم: ماذا نقول والأمر شاع؟؟

ـ نقول مات...

وتلَّ طفله للجبين، لكنَّه بكى، فرقَّ قلبُه... قال الحكيم: الطفل يا مولاي جائع هيَّا نجيءُ باللبن..

وعادا للقصر الكبير خفية، وقبل أن يرجعا حدث زلزال عظيم، وانشقت الأرض وابتلعتهما مع كل الكنوز، وها هي ذي يا طفلي السعيد في الفيوم تنتظر...

*****

قرار لجنة التحكيم

رغم أن القصة تفتقدُ شرطاً مهماً من شروط المسابقة وهو نقص عدد الكلمات عن الحدِّ الأدنى المسموح به، إلاَّ أن اللجنة ارتأت بالاجماع منح الجائزة لها لعدَّة أسباب:

أولاً: القصة تنحو منحاً توجُّهياً يتماشى مع السائد في المرحلة الآنية.

ثانياً: القصة تفتح ذهنية الأطفال وتأخذ بأيديهم الغضَّة وعقولهم إلى دائرة التفكير المنطقي بعيداً عن الخيالات الرومانسية ذات المردود / العكسي / في المراحل السنِّية التالية.

ثالثاً: اللغة في القصة ليست بعيدة عن قاموس الطفل اللغوي رغم انها محمَّلة ببعض الدلالات التي ترتكز على الاسقاط، وهي لغة مركَّزة مموسقة تدخل في فضاء الشعر كبديل موفق للخيالات السابق ذكرها.

رابعاً: البطل في القصة طفل، وهذا ما يجعل الأطفال يتعاطفون مع الطرح ويتبنُّون وجهة النظر المراد توصيلها.

لكل هذه الأسباب المفتقدة في القصص الأخرى المقدَّمة للجنة الفحص وهي مكوَّنة من نخبة منتقات تضم علماء في الاجتماع وعلم النفس والتربية وأطبَّاء وأدباء ـ كان الاجماع، واللجنة تُوصي بتشجيع هذا الأديب الشاب الموهوب وتخاطب المعنيين بالأمر بضرورة اعطائه منحة تفرُّغ ليتسنَّى له التركيز على هذه النوعية الطموحة من أدب الأطفال.

(توقيعات)

● دراسة موثقة لمؤرخ.. نُشرت في صحيفة خارجية أثر جدل قديم نشب حول نفس الموضوع/ عُثر عليها بين أيدي فتية مشاغبين كانوا يوزعونها سراً، فاعتقلوا بتهمة الإخلال بالأمن وترويج إشاعات كاذبة لتأليب العامة، وحيازة أسلحة نارية دون ترخيص من السلطات المختصة بهدف قلب نظام الحكم القائم بالقوة/ إذ تزامن اعتقالهم مع صدور بيان هام من الداخلية نُشر وأُذيع ووُزِّع بنفس الصيغة السابقة وزيد عليه التالي: وقد تمَّ تنفيذ حكم الاعدام شنقاً في المؤرخ/ رئيس التنظيم المُكتَشَف[1]/ بتهمة التخابر مع دولة معادية والاضرار بأمن وسلامة الوطن في مرحلة حاسمة من تاريخه، كما صدرت أحكام تتراوح بين العشر سنوات والأشغال الشاقة المؤبَّدة على بقيَّة أفراد/ التنظيم، ونحن حرصاً منَّا على المصلحة العامة نحذر المواطنين من اخفاء أية بيانات تخص هذه القضية، ونعلن أننا سنضرب بيد من حديد كلَّ من تسوِّل له نفسه الانضواء قولاً أو فعلاً في مثل هذه التنظيمات الهدَّامة والمرفوضة أساساً من الشرفاء المحبين لوطنهم، وعاشت مصرنا عزيزة قوية في ظل قيادتها الرشيدة التي لا تألو جهداً ولا تنى في سبيل رفعة الوطن وحماية أمن المواطن.

«هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين»
صدق الله العظيم

---

(١) رغم أن المؤرخ صاحب الدراسة مات ميتة طبيعية في فترة زمنية سابقة/ قبل الهوجة/ إلاّ اننا آثرنا نقل البيان كما هو ـ لذا لزم التنويه.

* قارون من بني اسرائيل أعطي مالاً وجاهاً عريضاً فطغى واستكبر على قومه، فخسف الله به وبداره الأرض، وهو ابن عم موسى نبي الله وهارون كما جاء في معظم التفاسير دون تحديد للعصر الذي وجد فيه، وقصته عند جمهور الفقهاء عبرة وعظة كقصة صاحب الجنتين وقوم لوط وما شابه، وهذه الدراسة تحاول ملء هذه الفجوة التاريخية مستضيئة بطروحات الأثريين وهي في معظمها احتمالية ومتضاربة، فبعضهم يقرر مثلاً أن فرعون موسى هو رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشر اتكاء على أنه نقل عاصمة ملكه إلى بلدة بشمال شرق الدلتا أسماها (برعمسيسو) أي بيت رمسيس ـ مدينة صان الحجر حالياً ـ «فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد ـ سفر الخروج ١٢/٣٧» وهي نفس المنطقة التي أسكن فيها يوسف أباه واخوته بأمر فرعون (سفر التكوين ٤٧/١١) وقد وردت بنفس التسمية، وفي مكان آخر من العهد القديم (الخروج ١/٨:١١) نرى أن فرعون مصر بعد موت يوسف سخّر بني اسرائيل في بناء مدينتي «مخازن فيثوم ورعمسيس»!! فهل يعني ذلك أن رعمسيس أنشئت في عصر يوسف أو بعده بقليل طبقاً لروايتي العهد القديم؟ وأن الذي أنشأها أحد الرعامسة الأول ـ الأوّل أو الثاني ـ؟؟

من المعروف تواتراً أن موسى من الجيل الثالث بعد يوسف. . .

(موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى) ولاوى أحد أخوة يوسف، فكيف يكون رمسيس الثاني هو فرعون موسى؟ هناك مخرج لهذه الاشكالية، إذ عُثر على لوحة حجرية من عصر امنحتب الثالث ـ من الأسرة الثامنة عشر ـ استغلها مرنبتاح الابن الثالث عشر لرمسيس الثاني (١٢٣٦ ـ ١٢٢٣ ق. م) وسجل عليها التالي:

«إن الخراب حلَّ بالتحنو ـ قبائل ليبية كانت تغير على شمال مصر ـ وان اسرائيل قد خُرِّبت وزالت بذرتها».

وهي المرة الأولى التي يذكر فيها اسم اسرائيل على لوحة مصرية، كما جاء أن هزة عنيفة حدثت في مصر بعد وفاته، وأزعم أن هذه الهزة ما هي إلاّ حادثة الغرق الجماعي لفرعون وجنوده، وأزعم كذلك أن مرنبتاح هو صاحب المومياء غير المستوية واليدين المتجهتين إلى أعلى قليلاً والتي فُسِّرت حديثاً على أن صاحبها مات غرقاً، وقد لُوحظ أن قبره بُني على عجل فجاء غير مناسب لمقامه كملك...

﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾ يونس ٩٢.

أمّا قارون وهو كما ذكرنا معاصر لموسى، فقد ورد ذكره صراحة في القرآن أربع مرّات مرتبط في اثنتين منها بفرعون وهامان.. (القصص ٧٦ ـ ٧٩، العنكبوت ٣٩، غافر ٢٤)، معنى ذلك أنّهما عاشا أيضاً في مكان واحد، وقد ورد في فتح الباري ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩ ج ٦ التالي: وكان من قصة قارون أنّه حصّل أموالاً عظيمة جداً

وكان يسكن تنيس، وحُكي أن عبد العزيز الحروري ظفر ببعض كنوز قارون وهو أمير تنيس، فلما مات تأمَّر ابنه عليٌّ مكانه، وتورَّع ابنه الحسن عن ذلك، فيُقال أن عليًّا كتب إلى أخيه الحسن. . . اني استطبت لك من مال أبيك مائة ألف دينار فخذها، فقال: أنا تركت الكثير من ماله لأنه لم يطب لي فكيف آخذ القليل. (تنيس عاصمة الأسرة الواحدة والعشرين/ ١٠٨٥ : ٩٤٥ ق. م/ قامت على أنقاض برعمسيس)، ونحن لا نميل لهذه الرواية ونعتقد أن حادثة الخسف (فخسفنا به وبداره الأرض) حدثت بعد الخروج، فقد جاء في سفر العدد الاصحاح السادس عشر قصة شبيهة بقصة قارون التي وردت في القرآن وان اختلفت في بعض أحداثها: وأخذ قُورح ابن يَصْهَار بن قهات بن لاوى وداثان وأبيرام ابنا اليآب وأون بن فالت بنو رأوبين (١) يقاومون موسى مع أناس من بني اسرائيل، مئتين وخمسين رؤساء الجماعة مدعوين للاجتماع ذوي اسم (٢) فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما كفاكما. إن كل جماعة الرب بأسرها مقدَّسة، وفي وسطها الرب فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب(٣). . . وبعد نقاش طويل يأتي سرد الحادث: انشقَّت الأرضُ التي تحتهم (٣١) وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل ما كان لقورح مع كل الأموال (٣٢) فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين كل الجماعة (٣٣).

أما بحيرة قارون التي يعتقد البعض نسبتها له، فلا علاقة لها به، فقد أُنشئت في عصر امنمحات الثالث من الأسرة الثانية عشر/ ١٨٤٢ : ١٧٩٧ ق. م/ أي قبل ولادة اسرائيل ـ يعقوب ـ للانتفاع بمخزون مائها في ريِّ أكبر مساحة ممكنة من أراضي الفيوم أيام التحاريق، واسمها القديم (مَرْ. وَرْ) أي البحيرة العظيمة، وهذا ما يجعلني مطمئناً حين أميل إلى أن الخسف بقارون وكنوزه حدث بعد الخروج في برِّية سيناء على حدود فلسطين، وأغلب الظن أن الحادث تمَّ تحديداً في منطقة طابا أو بالقرب منها، والخريطة المرفقة تبيِّن خطًّا متخيلاً لرحلة الخروج من مصر، وصدق الله العظيم إذ يقول مخاطباً رسوله الكريم:

﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر، وما كنت من الشاهدين﴾.

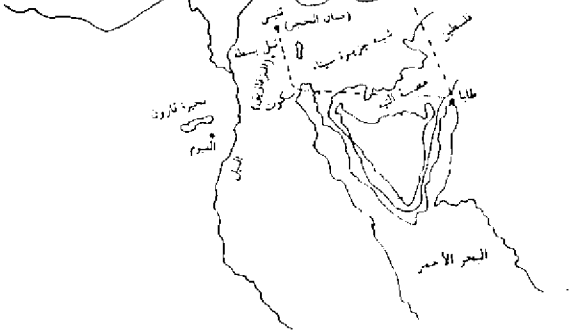

نقاشات دارت بعد القاء الدراسة نشرت معها في نفس الصحيفة

- نُوهتم سيادتكم إلى تبنّي بعض الأثريين لإحتمالية وجود موسى في عصر رمسيس الثاني بمعنى انه هو فرعون موسى الذي غرق، وبينتم أنّ اتّكاء هؤلاء كان على العهد القديم - علماً بانه لم يرد في كتبهم أيّة إشارة عنه ولا عن موسى وقارون فعلى أي مصدر استندتم؟؟؟

- الحقيقة أن القرآن لم يحدد العصر ولا اسم الفرعون، ومن هنا فأي باحث يتعرض لهذه الفترة التاريخية لا يجد أمامه إلا هذا المصدر رغم ما به من تناقضات ظاهرة وقد استمعت من سنوات إلى محاضرة قريبة من هذا الموضوع اشترك فيها نخبة من علماء الآثار وقد استنبطت من الحوارات الدائرة بينهم انهم يميلون إلى هذا الراي، رغم أن الاسماء لم ترد في كتبهم ولا على أعمدة ومسلات المعابد القديمة كما ذكرت، وأعترف أن ما جاء بالدراسة هو محض تصورات لا ترقى لليقين الكامل للأسباب السابقة.

- هل هناك جدوى من عملية البحث عن كنوز قارون - بمعنى آخر - هل هناك احتمال لوجودها؟؟

ـ سأجيب أولاً على الشق الثاني من السؤال وهو احتمالية وجود الكنوز . . يقول الله تعالى :﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ جاء ذلك بعد التوصيف الكامل للثروة الهائلة التي كان يمتلكها قارون وهي منطقياً الدافع الأساسي لخروجه على قومه في زينته غروراً وكبراً، معنى ذلك أن يتم الخسف كضرورة بالمال وصاحبه معاً، من هنا أرى حتمية وجود الكنوز على أية صورة، أما الشق الأول من السؤال فهو خارج عن نطاق توصيفي النظري والسيناريو الاحتمالي الذي وضعته، ومن الممكن جداً أن تتكاتف الأجهزة التنفيذية المختصة لعمل مسح شامل للمنطقة مستفيدة من التكنولوجيا المتطورة وان كنت اعتقد أن هذا الأمر لم يفت اليهود، ولكن السؤال الأهم هو: إذا عُثر فرضاً على الكنوز فهل يمكن الاستفادة منها في حلٍّ أزمة ما آنية؟ بمعنى آخر: هل سيسمح ببيعها مثلاً؟؟ والاجابة في غاية السهولة وان جاءت على صيغة سؤال آخر: ولماذا لم نبعْ كنوز الفراعنة التي تحت أيدينا بالفعل؟؟؟

ـ أثرتم سيادتكم نقطة في غاية الأهمية وهي احتمال وجود الكنوز في منطقة طابا، فهل لهذا علاقة بالاشكالية الدائرة حولها؟؟

ـ لا علاقة لدراستي بهذا الجانب لأنها دراسة تاريخية بحتة، وعندما وضعت تصوراً لرحلة الخروج وضعت في حسباني أن موسى عليه السلام لم يدخل أرض فلسطين، ولأن هضبة التيه التي أعتقد

في ارتباطها تاريخياً بالفترة التي ناه فيها بنو اسرائيل لمخالفتهم أوامر الله تمتد جغرافياً إلى داخل فلسطين وتقابل منطقة طابا فقد تخيلت طبقاً للسيناريو السابق أن الخسف حدث في هذه المنطقة، وان كان بعض الدارسين يؤكدون أنه تمّ قبل الخروج في «تنيس» أو «تلّ بسطة» لعدّة أسباب أهمها:

ـ استحالة نقل الكنوز الضخمة التي وصفها القرآن إلى برّية سيناء والخوض بها في البحر.

ـ استحالة حدوث الثراء الواسع في صحراء قاحلة وسط قوم فارين.

ـ كان قارون ـ كما يعتقدون ـ ذنب من أذناب السلطة الفرعونية الغاشمة وقد وُلِّيَ على بني اسرائيل فكيف يفرّ معهم؟؟

ولكننا بالمقابل نذكّر انّه لا يوجد لدينا غير مصدر واحد كما بيّنت، وروايته للحدث تدور في برّية سيناء.

(من مذكرات أديب عاصر الهـوجة وشارك فيها...)

. . ذات صباح وردى الدم والطالع كانت السماء تطلق وعدها السنوي خيوطاً من اللجين الحي تفترش الأرض فتطمئن وتعكس ابتسامتها البريئة كمرآة. . . الفرح يأخذ بمجامع القلب رغم كآبة الأمس، فيتقافز كطفل نـزق في حديقـة مزهـرة رحبة فـراشاتهـا السكرى بالعبير النقي تنثر بهاءها في الفضاء المحيط فيرق ويبتسم الجماد. . . قالت لي مرسلة حسبانها عـلى جنتي فأضحت صعيـداً زلقاً: أفق. . . هل يعجبك انكبابـك على الـورق دون منفعة؟؟ اخرج وشارك الناس قبل أن يفوتك القطار وتنمحي معالم المحطة فتخسر الجلد والسقط والقضيب ـ لا يُعـرِّف الأديب الأنثى التي قالت له ذلك، وأغلب الظن أنها النفس، أمَّا الجلد والسقط فيعني بهما ضياع كلّ شيء والقضيب زائدة إذ لم ترد في المثل الشعبي، وقد تكون أُقحمت اقحاماً كلازمةٍ لعبارة «يفوتك القطار» لكنها كما يبدو من السياق لا تخضع للمعيار الفرويدي ـ. .

ـ قلت: فكّرت واهتديت، في الكتاب الأصفر القديم حلٌّ لكلّ لغز.

شمَّرت كَلْسَ رأسي وانغمست فيه ناشداً التأويل. . .

قططٌ: قد طمسته طواعية ـ أي بذلته وغيرته.
وكلابٌ: وكل لغز أسفله بصيص ـ آية وعلامة.
وسحالى: سحره حواليه إلى لحظة يموت!!

قلت: لانكشاف السرُّ إذن ضرورة موت... لكن أي موت، ومن يموت؟؟، وانغرس رأسي بين الأسطر المقرمطة ـ الدقيقة المتقاربة حروفاً وسطوراً ـ فتحت وأغلقت وفتحت، السرُّ يبدو في اللفظة الأخيرة لكن أين البصيص الذي أسفله؟؟

تركت قلمي وأوراقي وانحدرت إلى هناك... كان الجو مكهرباً، والعرق يتحدر غزيراً من الجباه، اندسست وسط الموجات البشرية الهائلة، طائرات سلاح الجو المروحية تهدر ماسحة المنطقة، نهار يعقبه ليل وأيام حتى وصلت، السلاح الكثيف المدجج بالعسكر الغلاظ يفرض على المرء التروي والكياسة، في كل خطوة:

ـ من أنت؟؟

ـ أديب.

ـ وما معنى أديب يا....؟

ـ كاتب.

ـ كاتب محكمة؟.... لا

كاتب شونة؟.... لا

ويتدخل متظارف في غير وقته قائلاً: كاتب كتابه... ها ها....

قلت مختصراً الوقت: كاتب صحفي.

ـ لماذا لم تقل من البداية؟ ادخل لكن ممنوع التصوير.

دخلت بعد أن فقدت نصف شحمي ومعظم لباسي، الرهبة تشل الألسنة وتفكك أربطة الرُكَب، قلّبت بعينيّ المكان، لمبات اضاءة قوية عُلّقت في السقف بدون نظام، صناديق من البرنز المنطفىء على الجانبين، رائحة عطنة نفّاذة تزهق الروح، ثمة غبار أصفر يغبيء فراغ السرداب، حيوانات محنطة في الصناديق كل جنس على هيئة واحدة كأنها صور مكبّرة لأصل مفقود، القطط مثل الكباش الكبيرة والكلاب في حجم الأحصنة والسحالى كالتماسيح، في كل صندوق جثة من كل جنس صُفّت على التوالي، الصندوق الواحد كعربة القطار، لكل صندوق مفتاح كالهلب الضخم، شكلان مكرران نُقشاً على الجوانب واحد على شكل عرف الديك والثاني دائرة تتعامد مع الأول نصفها أحمر والآخر أسود، العرف يسيل منه دم قان... فتحت كتاب رأسي وانزرعت بين أسطره.

عرف الديك: جزء من كل ويعني الديك بذاته.

يسيل منه دم: أي يذبح.

قان: نقي.

الدائرة بلونيها: الشمس خارجة من مخبئها الليلي اشارة إلى الوقت من منتصف الليل إلى الفجر...

ثمة ديك اذن يظهر في المكان قبيل طلوع الفجر إذا تمكّن إنسانٌ ذو دم نقي من الإمساك به وذبحه انفكّ سحرُ الكنوز... ظللت مختبئاً بين الصناديق أنتظر الديك.. قبل آذان الفجر بدقائق قليلة سقطت بيضة من سقف السرداب فتهشمت وخرج منها كتكوت راح يكبر أمام عينيّ حتى صار ديكاً مبرقشاً بعرف أحمر يسر الناظرين، تسللت حتى صرت منه قاب قوسين أو أدنى، استعذت بالله من شرّ النفّاثات في العقد ومددت يدي وعندما هممت بإمساك رقبته زاغ وتلاشى، في اليوم التالي تكرّر الحدث، قلت هناك خطأ ما/ إنسان ذو دم نقي/ امّا إنني غير إنسان وامّا دمي غير نقي، استبعدت الأولى وجلست متفكراً في الثانية، هل يُشترط مثلاً أن يكون الإنسان من أبوين وجدّين مصريين؟ الشرط في هذه الحالة ينطبق عليّ... هل معناها أن يكون من عائلة لا يتزوج ذكورها من غريبات؟ وكيف نعرف ذلك؟ قلت لنفسي مطمئناً: المشكلة هيّنة طالما السرُّ كشف وما عليك الآن إلّا الاتصال بأولى الحل والعقد مرشداً ناصحاً، انتشلت ما بقيَ مني وغادرت المكان ـ تفتيش ذاتي وبهدلة حتى وصلت إلى البوّابة الحديدية الضخمة... طرقت الباب بأدب فَفُتحت كوةٌ طلّت منها رؤوس مخوّذة: من؟

ـ أديب . . وتكررت القصة السابقة . . .

ماذا تريد؟

ـ أطلب المقابلة . .

ـ مقابلة من؟

ـ سيادته . . .

ـ سيادة الوكيل؟

ـ لا ـ سيادة الكبير.

ـ آه . . . لماذا؟

ـ لأمر يهم البلد.

ـ معك موعد؟

ـ لا . . . .

ـ إذن أكتب طلباً بالغرض من المقابلة موضّحاً فيه عنوانك وسنتّصل بك بعد أن يفرغ فخامته من ارتباطاته الحالية . .

ـ الأمر خطير يا سادة . . .

ـ والمقابلة يا سيد أخطر . . . هل تظن نفسك في سويقة! يلزمنا أشياء ويلزمك أشياء أما أشياؤنا فهي من أسرار الدولة العليا فلا تسأل عنها . . .

ـ وأشيائي؟؟

ـ أشياؤك تأديبية بحتة . . .

فزعت وهتفت متشفعاً بالكريم ابن الكريم وبنسله الطاهر الزكي: وماذا فعلت يا سادة حتى أحال للتأديب؟

ـ ليس الأمر إلى هذه الدرجة يا سيد... نقصد بالتأديب التنظيم.

امتقع وجهي وكدت أسقط من الرعب: يا سادة ليست لي ورب الكعبة علاقة بأي تنظيم أنا مجرُّد وصَّافِ خيالٍ وأحياناً أميلُ للنكتة البريئة...

ـ لا تتعبنا يا سيد... نقصد بالتنظيم تعليمك بروتوكول المثول...

انفرجت أساريري وارتُد قلبي إلى مكانه وقلت أنتظر... حملت ثقل الانتظار على كاهلي شهوراً طويلة حتى كاد أن ينقصم، وذات فجر دُقَّ بابي:

ـ من؟

ـ افتح...

ـ فتحت فرأيتُ كوكبة مدجَّجة بالأبيض والأسود... مطلوب في القسم.

ـ لماذا؟؟؟

ـ هناك تعرف...

- معكم إذن من النيابة؟؟

- أي نيابة يا (دُغُفْ)؟ (شتمة شعبية متداولة رسمياً تعني في ارقّ صورها يا حيوان) حملوني حملاً وقذفوا بي في جوف سيّارة مدرّعة، ولم أفق إلا في حضرة المسؤول. يدي على قفاي وجسدي كنار الله الموقدة..

- اسمك ومهنتك وعنوانك...

أسليت يا طلب...

- أقاربك حتى الدرجة العاشرة وعائلتك حتى الجد الثامن ومعارفك من لحظة الولادة حتى الآن.

- ليس لي أقارب يا سيدي ولا معارف والعائلة لم يبق منها حي سواي.

- تكلم يا (بِقْفْ) (شتمة من فصيلة الشتمة السابقة ولكنها أخف) أتحسبنا نائمين؟ ألبست هذه شجرة العائلة الكريمة أيها الخائن الأحمر؟؟

صمتُّ والرعب الشديد يشلّ قلبي... خائن وأحمر تعني الاعدام رمياً بالرصاص... وتفتّق ذهني عن مخرج مؤقت: يا سيدي أنا خادم أمين للبلد، والسر الذي أحمله لا يبوح به خائن.

- أي سر يا ابن أمك؟؟؟

ـ السر الذي من أجله طلبت المقابلة . . .

فتح مجلة قديمة أمامه ثم قام وسحبني من رقبتي :

ـ انظر . . . أليس هذا اسمك الكريم؟

ـ نعم اسمي .

ـ والمقالة . . ألست كاتبها؟

ـ هي مقالتي بالفعل . . . نشرت من سنوات أيام أزمة القناة .

ـ وماذا تقصد يا . . . بهذه الفقرة؟ وأشار باصبعه على جملة أسفلها خطوط وعلامات تعجب واستفهام ـ اقرأ يا أحمق بصوت مرتفع ، وقرأت : قناة السويس حق شيوعي لكل المصريين يا للنهار الأسود . . حق شيوعي . . . مصيبة . . . أرجعت شريط الذاكرة للخلف فتذكرت :

ـ يا سيد كتبت/ حقاً شرعياً لا حقاً شيوعياً/ أنا متأكد من ذلك ولنحتكم إلى الأصل المكتوب بخط يدي وأظنه ما زال في أرشيف المجلة . . .

ـ سنرى يا . . . وأشار بيده إلى أحد الموجودين فخرج ، وظللت عدة ساعات واقفاً وقلبي بين قدمي حتى وصل ، نظر هو في الأصل ثم قام وعانقني : كان عليك يا أستاذ أن تراجع البروفات بنفسك حتى لا توقعنا في مثل هذا الحرج ، نحن نحترمك ونقدر دورك في ارساء قواعد نهضتنا الثقافية وكلنا نقبل على كتاباتك الرائعة بشغف لنتعلم من خبرتك وبراعتك المشهود لها . . . براءة

وآسفين للازعـاج . . . توقيـع سيادتكم . . . مـع السلامـة نحن سعـداء بتشريفك . . . خـرجت والورم يمنعني من الـرقص لكن داخلي كان يهتز طرباً بعد انحلال الحبل بأعجوبة من حول الرقبة، ولا أعرف من أين جاءتني تلك الفكرة المنقذة برغم ما كنت فيه؟؟؟ بعد أسبوع حملت ثانية إلى جهة أعلى: لماذا طلبت المقابلة؟؟

ـ لا تضيع وقتك يا سيدي . . لن أتكلم إلا في حضرته .

ـ قل يا سيد ما تريده ونحن نوصله . .

ركبت رأسي رغم الأنياب الحادة المغروزة في لحمي وقلت: أبداً ولو على رقبتي . . . .

قال الكبير لنصف الدائرة البشرية المسمرة خلفه ساحباً وحوشه مني بصفير متقطع:

ـ الرجل على ما يبدو صادق . . . الرجيم أولاً ثم الرياضة وبعد ذلك أصول البروتوكول . .

المقابلة بعد شهر . . .

أمهلت عدة أيام لإنهاء كافة ارتباطاتي الخاصة، وها أنا ذا قد فرغتُ من كل شيء وأستعد الآن للمغا . . .

. . . . .

. . . . .

توقفت المذكرات عند هذه اللفظة المبتورة التي قد تكون للمغادرة/ أو/ المغامرة، ولأنه كان أعزباً منعزلاً عند تعذُّر الوقوف على السبب الحقيقي لهذا القطع المفاجيء، وقد فُسِّرت الحالة على ثلاثة أوجه:

- إمّا أنه كان على عجلة من أمره فنسي،

- أو أنه أرغم على ذلك إرغاماً.

- أو أنه من أنصار النهايات المفتوحة للنصّ الأدبي فتركه هكذا معلقاً.

وبسؤال الجيران أفادوا أنهم شاهدوه لآخر مرة من شهرين وكان نحيفاً يرتدي على غير العادة سروالاً قصيراً فاضحاً أشبه بلباس البحر ويتدلى من رُقبته جهاز تسجيل صغير متّصل بسمّاعتين ملتصقتين بأذنيه وكان على ما يبدو منهمكاً فيما يسمع... لكن ما حدث في القطر بعد ذلك يستدل منه أن المقابلة تمّت بالفعل، فقد نُصب جهازٌ ضخمٌ على مدخل العاصمة الغربي به كاميرات تلفزيونية وشاشات عرض ولبنات ملونة، وانتظم في ثلاثة صفوف طولية خلفه ذكور القطر، كل ثلاثة أفراد يدخلونه دفعة ويستغرق فحصهم دقيقة واحدة.

/بلغ عدد المفحوصين كما يقول مهتم بمثل هذه الأمور خمسة

وعشرين مليوناً، واستغرق الفحص خمسة عشر عاماً وعشرة أشهر واثني عشر يوماً واثنتين وخمسين دقيقة وسبع عشرة ثانية تقريباً. . . /

والجهاز خاص بفحص نقاء الدم الذي ورد ذكره في المذكرات عند سرد حكاية الديك المسحور حارس الكنوز، وأغلب الظن أن تلاعباً مقصوداً حدث في تقرير اللجنة الغريبة المكلفة بفرز نتائج الكشف، فقد نُشر في صحف مُنع دخولها القطر أنه لم يُعثر على دمٍ نقي.

* * * * *

(جلسة في الكنيست الاسرائيلي سجلت وسربت للخارج في خضم الهوجة...)

* قاعة الكنيست الاسرائيلي متشحة بالسواد رغم الاضاءات القوية المنبعثة من لمبات نيون وُضعت طولياً على خطِّ التقاء الجدران بالسقف بطريقة هندسية فريدة. . . . مقاعد وطاولات صُفَّت على شكل أنصاف دوائر يتماس محيط الكبرى مع منتصف أطوال ثلاثة من أضلاع القاعة المربعة، ثم تضيق حتى تقترب من المركز المنتصبة عليه منصَّة عالية رُسم عليها علم تتوسطه نجمة داوود السداسية، على جانبي المنصة حُفرت خريطة اسرائيل الكبرى. . . يدخل الأعضاء فرادى وجماعات وعلى رؤوسهم الطاقية المميِّزة. . . حتى إذا ما اكتمل النصاب افتتحت الجلسة وقام الأعضاء منشدين النشيد الوطني المأخوذ من مزامير داوود مع بعض التصرف، وإذ ينتهون يجلس الرئيس أولاً على المنصَّة ثم يتبعه بقيَّة الأعضاء.

الرئيس:

العضوات الموقرات والأعضاء. . جلستنا اليوم طارئة حتَّمتها الظروف المستجدة على الساحة. . تلك الظروف الخطيرة المعطِّلة لمخططاتنا، واغفروا لي هذا الانشاء العاطفي الذي لم نتعوده. . .

العضـوات المـوقـرات والأعضـاء.. تعلمـون أن المصريين منشغلون الآن بكنوز قورح بن يصهار وانهم سحبوا بعثتهم وطردوا بعثتنا، ورغم أن الكنوز عندنا من قديم الأزل إلا أن مجلسكم الموقر قرّر بأغلبية الأصوات مدّ حبلِ الوهم لهم باستفزاز من جانبنا يوحي بانشغالنا واهتمامنا مثلهم بالقضية حتى يتلبّسهم الوهم ويحسبون انها بالفعل موجودة، وقد كانت لفتة ذكية من السيد بيجن رغم محنته الشخصية عندما أدلى ببيانه الرائع الذي تناقلته وكالات الأنباء إذ من المحتمل جداً عثورهم على أي شيء في تلك المنطقة الغنية بالآثار الفرعونية، حينئذ نكون ممسكين العصـا من الوسط كـما يقولـون ونطالب بها على أساس الوهم الغارقين فيه، فيرفضون، وننقضّ نحن عليهم متزرعين بحقوقنا التاريخية التي نعلم يقينا انها ليست لنا لأن أجدادنا قبل الخروج لم يسكنوا الفيوم، وللعلم وهذا سرٌ أذيعه لأول مرة فان العرّافة الهندية التي توهّم نائب السبوع المقتول انها قابلته مصادفة في لندن ما هي إلا عميلة لمخابراتنا وهي التي أوحت له بتفاصيل العملية رغم انه أذاع كلاماً آخر.

ولم يكن في الحسبان مطلقاً أن يلغوا المعاهدة التي ظللنا نخطّطُ لها منذ قيام الدولة لا لشيء إلا لوضع قدمنا داخل أهم دول المنطقة تحقيقاً لمشاريعنا بعيدة المـدى هكذا عـلانية، ورغم أن المعـاهدة كانت مجرد أوراق تحمل توقيعات رسمية ولا تلزمنا بشيء إلاّ أن

موضع القدم الذي حاربنا طويلاً حتى اقتنصناه فُقد لسوء تقديرنا للنتائج المترتبة على ما أقدمنا عليه، ولا مخرج أمامنا الآن إلا أحد حلين:

أما القيام بضربة مفاجئة مستغلّين التدهور الآني للآخر، أو التراجع، وكلا الأمرين مر... (لغط في القاعة ونقاشات جانبية متشنجة... وينتهي الجزء الأول من الشريط، وعند تشغيل الجزء الثاني سُمعت أصوات صفعات وارتطامات وصرخات نسائية وبعض الكلمات غير المترابطة مثل: أبداً.. أبداً... الحرب.. الدولة.. الحكومة تستقيل.. خيانة.. الرب.. الحاخام الأكبر...، وقبل نهاية الشريط بدقائق خفتت الأصوات قليلاً وسُمع صوت الرئيس وهو يتلو البيان الختامي:

«لم تكن معاهدة السلام مباراة في كرة القدم بين فريقين متنافسين، ولكنها تمّت بين دولتين دستوريتين بمشاركة دولة عظمى، ولذا فان قيام أحدى الدولتين دون مبرر قوي بالغاء معاهدة على هذا الشكل من جانبها عملٌ غير قانوني، وإذا كانت مصر قد اعتبرت التدريبات الروتينية التي تجريها قوات الدفاع على الحدود الغربية تحرشات متعمدة، فاننا نعتبر نقل جزء من القوات المصرية إلى الفيوم نوعاً من التمويه والتغطية لعمل عسكري موجه ضدّنا أساساً، ونحن محافظة على السلام الدولي في المنطقة ندعو مصر إلى

إعادة سفيرها والجلوس إلى مائدة المفاوضات لرأب الصدع الناتج عن سوء فهم متبادل . . .

. . . . .

. . . . .

يغرس في القلب سهم فتراك وظائفه ، وينكمش مع كلّ قطرة دم تتساقط بالثرى المنطفىء بنفايات المهووسين وعُبّاد البريق . . . .

ولأن الرجوع عن الخطأ المنكسر الذي ابتدأ فعله الخرائبي أخطر من الاستمرار فيه فقد توالت الجرعات المنوّمة والمنشّطة للزوم . .

وإذ يهمدُ القلبُ بعد طول تشبّث
يصطبغُ الجسدُ بالأصفر
ويتعكس اتجاه الدورة للمجهول ناظراً وراءه حتى . . . . . منشّطة

تمدُّ مخالبها الشوكية في تجاويف النضاريس الخربة
فتنتفخ بطونٌ
وتنزُّ من مسامات العرق النتن برك الصديد . . .
حتى إذا ما تكشّفت العظامُ
لمعت أسنةُ المناشير الحادة . . .

وتهدرُ في الأفقِ البعيدِ كتائبُ
رايتها الخضراءُ تزرعُ الأمانَ في النفوسِ
سواعدٌ تلوح خلفها المطرْ
يرخ . . . .
يبعث الثرى من بعد موته
وجوهٌ مسفرة
ضاحكةٌ مستبشرة
بها يعتدل الميزان
وتدور العجلة ثانية للأمام واثقة مطمئنة
ماحقة . . . ين الخراب . .

فوزي صالح
دبي في ١٥/٤/١٩٨٨

هامش:

* إن شجرة الجميز الصغيرة . . . (بتصرف) من أدب الأسرة العشرين ١٢٠٠ : ١٠٨٥ ق. م/ ادلف ارمان وهرمان رانكة : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ص ١٩١ - ١٩٢ /.

(**) لديك الحكمة والبصيرة . . . (بتصرف) كتبها الحكيم المصري دايبو - وره الذي يعتقد انه عاش في أواخر عهد الملك ببي الثاني من الأسرة السادسة ٢٣٤٥ : ٢١٨١ ق. م، أو أحد حافاته الضعاف - من ترجمة الدكتور عبا المنعم أبو بكر.

المـــراجـــع

- القرآن الكريم.
- العهد القديم.
- تفسير الطبري وابن كثير وسيد قطب.
- قصص الأنبياء - تأليف: الشيخ عبد الوهاب النجار/ دار الجيل بيروت.
- معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية - د. سيد توفيق/دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٨٤م.
- العصور القديمة - د. جايمس هنري براستد. ترجمة: داود قربان - مؤسسة عز الدين.